النّص القرآني والمناهج الحديثة– دراسة تطبيقية في نماذج من الآيات الكريمة

أ.د. حلومة التجاني
جامعة الجزائر 2
tidj.h2006@yahoo.fr

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2017-10-30	2018-04-29	2018-06-26

مُلخّص البحث

لا يخفى عن الدّارس للنقد العربي أن أكثر النّصوص تناولا في النقد العربي القديم النّص القرآني، إلاّ أنّ الأدوات التي تناول بها النقاد القدامى هذا النّص المقدّس تظل إلى حدما قاصرة في كشف أوجه الإعجاز القرآني .

ولأنّ النّص القرآني نص كلّ الأزمنة لم يجد النقاد والدّارسون مناصا من محاولة فهمه وقراءته قراءة جديدة في ضوء المناهج الحديثة استجابة للوضع الحضاري الحاليّ الذي صنعه الغرب بمقولاته وأطروحاته الفكرية. وإذ أننا لا نستطيع التّقوقع على ماضينا التّليد من جهة ، ولا الهروب من واقع محتم أوجدته العولمة من جهة أخرى، بات من الواجب استثمار هذه المناهج في قراءة هذا النّص المعجز، ولكن إلى أيّ مدى يمكن أن يستجيب هذا النص لمنهج غربي المنشأ؟ وماهي الصعوبات التي يلاقيها الباحث أثناء ممارسته الفعل النقدي وفق هذه المناهج في كشفه لأوجه الاعجاز في النّص الفرآني؟ وإلى أيّ حّد يمكن تطويع هذه المناهج لتتناول نصّا يُعلى ولا يُعلى عليه؟ تلك هي إشكالية البحث التي نوّد من خلالها استثمار المنهج الحديث كالسيميائية أو التّداولية مثلا في تناول هذا النّص.

الكلمات المفاتيح: القرآن – المناهج الحديثة – اللسانيات المعاصرة

Abstract

Don't hide from the students the Arabic text to more text, a waiver in point of the ancient Arabic text of the Quran, however, tools that addressed by critics of the old that the text remain fairly minor in the revealed aspects of the miraculous nature of the Quran`.

And because the Qur'anic text the text of all the times I didn't find critics and scholars advocate of trying to understand it and read it read the new in light of modern curriculum in response to a cultural current that made the west by his Arts intellectual. We don't use the sites on our past glorious hand, there is no escape from the reality of the inevitable globalization has created, on the other hand, it is actually an exception to this product in the read this text, but to what extent can this text a product of Western origin?

What are the difficulties encountered by the researcher while practicing his act with this product to detect objects of admiration in the text are for? And to what extent can the adaptation of this curriculum to address the reading is second to none and is second to none? Those are the problematic research that we would like to through its investment climate the modern Castel or deliberative as in the intake of this text.
Keywords: The Quran – Modern curriculum – Linguistics contemporary

دعونا نتفق أوّلا على أن مناهج النقد القديمة منها والحديثة ما هي إلاّ فرضيات عمل، نحاول من خلالها الولوج إلى خبايا النّصوص والخطابات والكشف عن جمالياتها، وهي كثيرة لا تعدّ ولا تحصى، أنتجتها البنى الفكرية المصاحبة للتّحولات الاجتماعية والاقتصادية كردّة فعل، باعتبار أن هذه النصّوص والخطابات لسان حال الفرد والجماعة، فليس غريبا إذًا ألاّ نسلّم ببداهتها وصلاحيتها في كلّ الأزمان تماما كما هي المفاهيم اللّسانية إذ ستبدو لنا يوما مختلفة إذا أعيد إدراجها في مجال الخطاب الذي يؤديه المتكلم (كلغة) وبشرط التفاعل بين الذّوات ممّا يسمح لهم بالتواصل اللّساني كما يقـــول إميل بنفنست Emile Benveniste (1).

أما الحديث عن القرآن الكريم فيسوقنا قسرا إلى الحديث عن مناهج القدامى في تناول القرآن الكريم قبل الحديث عن المناهج الحديثة في تناوله. ولعلّ الذي يسبق تلك المناهج مسألة التّذوق إذ أعجب الوليد بن المغيرة بالقرآن لسبب لم يستطع تفسيره فقال حين أجمع قومه على أنّ الرّسول صلى الله عليه وسلم شاعر: " قد سمعنا الشّعر فما يشبه قوله الشّعر ، فقالوا :نقول أنّه كاهن ،قال: إذا تأتونه فلا تجدونه يحدّث بما تحدّث به الكهنة ، قالوا نقول : إنّه لمجنون ، فقال: إذا تأتونه فلا تجدونه مجنونا ، قالوا: نقول إنّه ساحر، قال: وما السّاحر؟ فقالوا : بشر يحببون بين المتباغضين و يبغضون بين المتحابين ، قال ، فهو الساحر "(2) وفي موضع آخر يُروى أنّ الوليد بن الغيرة استمع إلى القرآن فقال: " والله لقد سمعت من محمّد آنفا كلاما ، ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، وإنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة وإنّ أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق ، وإنّه ليعلى وما يُعلى "(3) والحقيقة أن القرآن في حقبه الأولى كان محطّ انتباه علماء ذلك العصر، بل لم نجد كتابا شَرفت به العلوم دراسة وتمحيصا ككتاب الله عزّ وجلّ في علوم البلاغة والنّحو والفقه والتّفسير تحديدا، فألفت كتب في الإعراب مثل إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه وأخرى في البلاغة كدلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني والخطابي في كتابه بيان إعجاز القرآن والزّمخشري في تفسيره البلاغي وغيرهم كثير أمثال الجاحظ وسيبويه وابن جني ...الخ ، كلّ أدلى بدلويه إلى حدّ لم تخلُ فيه كتب من اقتباس أو تلميح لآية كشاهد على إعجاز لغة القرآن الكريم.

لكن القرآن الكريم لم يكن يوما حكرا على حقبة زمنية معيّنة فهو متجدّد متحرك مواكب لكلّ الفترات الزمنية ولا يمكن الوصول إلى حقائقه إلا من خلال قراءات حداثية متجدّدة تناسب العصر،" فالمشروعات الفكرية الحديثة في قراءة النص هي استجابة للتحدي الحضاري الذي فرضه الصدام مع الحضارة الغربية بمقولاتها ومنتجاتها الفكرية والاجتماعية والسياسية التي تحولت إلى مكون رئيس من مكونات فكرنا العربي الحديث،(4) ولسنا نعني بذلك المساس بالنّصوص الشّرعية الثّابتة الخاصة بالعبادات والمعاملات من أوامر و نواه،والّتي لا اجتهاد في نصوصها وإنّما نعني النّواحي الجمالية و الفنيّة فيه من منطلق تخصصنا في تحليل الخطاب.

إلاّ أن القراءات الحداثية للقرآن الكريم لا يمكن فصلها عن التّراث واجتهادات القدامى في مناهج تناولهم للقرآن فثمّة خيط دقيق يربط بين الحاضر والماضي، ولا تقوم المناهج الحديثة في تناول النّصوص (القرآن الكريم والأحاديث النّبوية الشّريفة) إلاّ على سند من مناهج أصبحت مستهلكة قدّمت ما عليها من فوائد ، هذه الفوائد هي المنطلق الذي نلوذ به إذا ما أحسسنا تمرّدا من المنهج الحديث الذي نريد من خلاله الولوج إلى النّص القرآني باعتبار أن منشأ المنهجِ غربيٌ ترعرع في تربة غير التّربة التي نشأت فيها تلك المناهج القديمة - إن صحّ تسميتها كذلك ، " وبعض المناهج الغربية تزخر بإمكانات جيّدة في التّحليل والتّفسير، ومن شأنها أن تضيء خبايا النّص القرآني ، إلاّ أن تنزيلها على الوحي الرّباني يقتضي مراعاة خصائصه التي تفرّد بها عن غيره.وأعظمها خاصية ربانية مصدرهِ، ومن هنا لابد من الانتباه إليها أثناء استثمار هذه المناهج ومحاولة إسقاطها على النّصوص القرآنية." (5) ، فالنّص والخطاب هنا " كلام الله ، وحيّ ليس من كلام البشر ،مجال الحرّية فيه محفوف بمخاطر الانزلاقات الفكرية التي قد تؤدي إلى انحرافات عقائدية غير مقصودة لكنّها تفهم بالطّريقة التي أخرجت فيها " (6).

لذلك ليس من السّهل أبدا بسط أيّ محتوى قرآني على طاولة مناهج وضعية وغربية أيضا، ذلك أن القرآن ليس رواية و لا شعرا نسمح لآلة المنهج أن تخترق نظامه بالحريّة التي قد يتصورها البعض، وإن كنّا نروم من خلال هذه المناهج قراءة الدلالة الجمالية في النّص القرآني.

سنحاول في هذه الورقة البحثية التركيز على النّاحية السردية في آيات من القرآن الكريم متوسلين ومستعنين بما يمكن أن تقدّمه هذه المناهج الحديثة كالسيميائية تحديدا و في ضوء الأسلوبية أيضا.

السّيميائية La sémiotique :

ما هو متعارف عليه وحسب بيرس Charles Sanders Peirce أنّ السيميائية هي العلم الذي يُعنى بدراسة العلامات و مستوياتها في الخطاب، وقد ارتبط ظهور علم العلامة بعَلمَين اثنين هما فردينان دي سوسير F.De Saussure و بيرس ، فاللّغة عند الأوّل نظام من العلامات c'est un système de signes التي تعبّر عن الأفكار ويمكن تشبيه هذا النظام بنظام الكتابة أو الألفباء المستخدمة عند فاقدي السمع والنطق أو الطقوس الرمزية أو الصيغ المهذبة ، أو العلامات العسكرية أو غيرها من الأنظمة ولكنّه أهمها جميعا (7) ، بينما سعى بيرس إلى جعلها أكثر شمولية حينما جعلها تخرج من نطاق اللّغة المنطوقة إلى لغة الجسد والفضاء الذي نتجت فيه على حدّ قول سعيد بن كراد فهي أي السيميائية " تتبع حياة الدّلالات التي ينتجها الإنسان من خلال جسده ولغته وأشيائه وفضائه وزمانه ، وباختصار من كلّ ما يمسّه أو يجرّبه أو يحيط به (8) ، وتجدر بنا الإشارة إلى أن اتجاهات السيمائية كثيرة نوجزها في الجدول التالي:

الاتجاه الفرنسي	الاتجاه الامريكي	الاتّجاه الرّوسي	الاتّجاه الايطالي

دي سوسير F.De Saussure بارث R.Barth (سيميائية الدلالة) مونان Mounin (سيميائية التواصل) غريماس Greimas (مدرسة باريس) جوليا كريستيفا J.kréstiva (السيميائية المادية)	بيرس Peirce	الشكلانية الروسية Formalisme Russe مدرسة تارتو Tartu – Moscow Semiotic School	امبيرتو إيكو ECO روسي لاندي Rossi - Landi
مبنية على اللّغة و اللّسانيات (9)	مبنية على المنطق وفلسفة الأشكال الرمزية الأنطولوجية (الوجودية)والرياضيات (10)		

آيات من سورة النمل في ضوء سيميائية غريماس:

سنختار لدراستنا هذه، نظرية غريماس في تناول المكان السردي، و نذكّر أنّنا لسنا ملزمين بتتبع خطوات المنهج نفسها من منطلق أنّ القرآن وحي الله عزّ وجلّ تتعالى آياته إلى عجز المناهج على تناولها تناولا كليّا.

" إنّ الإحاطة الشاملة بنظرية غريماس A.J.GREIMAS السيميائية سواء أكان ذلك في أصولها العلمية أم في مفاهيمها الإجرائية وحدود هذه المفاهيم ليس بالأمر الهين. فطموح هذه النظرية و شساعتها و نزعتها الشّمولية ، وتشعّب مصادرها المعرفية وتداخلها، و تنوّع العلوم التي استندت إليها في بناء جهازها المفاهيمي، وغنى هذا الأخير، تعدّ من أهمّ العقبات التي تحول دون الإمساك بروح هذا المشروع بله رصد كل جزئياته وتفاصيله.(11) ولما كان الفضاء المكاني وحدة من الوحدات المشكّلة للنّص السردي، فسننظر في مستوياته السطحية والعميقة وفي الدّلالات الممكنة المحتواة فيه، فالأحداث لا يمكن أن تكون خارج المكان أو الزمان، فالفضاء " برمجة مسبقة للأحداث وتحديد لطبيعتها(الفضاء يحدد نوعية الفعل)، وليس مجرد إطار فارغ تصب فيه التجارب الانسانية.

المدونة: سورة النّمل، مكيّة، الثامنة والأربعون في عداد نزول السّور (12) تتناول أصول العقيدة في محاورها الثلاثة (التّوحيد والرسالة والبعث)" ويكاد يكون منهاجها واحدا في سلوك مسلك العظة والعبرة عن طريق قصص الغابرين" (13)

الفضاء المكاني في سورة النّمل:

تمتاز سورة النمل ببنية قصصية حوارية تطغى على مجموع القصص فيها بدءا بقصة موسى عليه السّلام و انتهاء بقصتي صالح و لوط عليهما السّلام وهي قصص موجزة غير مكتملة نعثر على بعض من أنبائها في سور أخرى غير هذه، بينما تتوسط قصة سليمان الفضاء Espace من الآية 15 إلى الآية 44 و ضمن هذا الحيّز هناك قصة بلقيس معه عليه السّلام و هي إلى حدّ ما قصّة مغلقة ومكتملة ، تبدأ ملامحها عند الآية 22 وتنتهي عند حدود الآية 44 المحاذية لقصة صالح عليه السّلام و ما يميّزها عن باقي القصص في هذه السّورة أنها لم تتكرّر في أيّ موضع من القرآن.

وكلّ هذه القصص تقع ضمن خطاب عقائدي، هو قصّة الحقّ و الباطل، بطلها الرّسول صلى الله عليه وسلم في مواجهة كفر قومه وتعنتهم في الاستجابة لصوت الحق، وتحتلّ هذه القصص إطارا مكانيا تحدّده خلفياتها التّاريخية ونقصد بها منزل الوحي مكّة وفلسطين واليمن وغيرها مّما ذكر في كتب التّفاسير والتّاريخ عن أخبار الرّسل والأنبياء، و لنبدأ باستقراء أماكن السورة وسطحها :

الفضاء المطلق:

وهو فضاء مكاني يتّسع للماضي والحاضر والمستقبل وعلى طرفيهما الغيب

الغيب ←	**الماضي** ←	**الحاضر** ←	**المستقبل** ←	**الغيب**
قصة الخلق ←	**قصص الأنبياء** ←	**مانعيشه** ←	**ما سيعيشه من بعدنا** ←	**الجنّة والنّار**

" فلقد اقترف الإنسان أوّل خطاياه بمخالفة أمر الله ، فأُقصي عن الفردوس السّماوي ليعيش قدره الأرضي " (14) وفي هذا المجال المكاني أتيح للإنسان الأوّل أن يمارس فعله من أجل الحياة ، فاقتطع من الأرض مكانا يمتلكه يوفّر له الماء و الزّرع ، فكان أوّل منشأ للمكان الاقتصادي، وكثر النّاس وجمعت بينهم اللّغة والأعراف والتّقاليد فكان منشأ المكان الاجتماعي وازداد النّاس معرفة بالأرض وتوفرت لديهم وسائل استعمارها فأنشأوا المدن والقرى والحدود، ومن هنا كان المكان سياسيا وطرأ عليهم جديد الدّين فاكتسبت بعض مناطق الأرض صبغة دينية، فكان منشأ المكان الديني ، وانقسم النّاس على هذا الأساس إلى مؤمنين وغير مؤمنين يجمعهم مكان آني هو الأرض الدنيا ويجمعهم مستقبلا مكان غيبي هو الآخرة بغرفتيها الجنّة و النّار.

وبالعودة إلى الخطاب القرآني في أولى آيات سورة النّمل ، نجد أنفسنا أمام لفظ أشدّ ما يكون التصاقا بالمكان ، ذلكم هو لفظ "" تلك "" في قوله تعالى : ﴿ طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿1﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿2﴾الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿3﴾ (النمل)، إذًا فلفظ "" تلك"" إشارة حسيّة تدلّ على ارتباط ذات مؤمنة بالمشار إليه [القرآن] ، وهذه الذّات المؤمنة مطلقة تجمع كلّ المؤمنين في أيّ مكان كانوا ، أمّا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿4﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ

سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴿5﴾ (النمل)، فيكشف عن القطب الآخر الذي يقف على وجه النّقيض من فئة المؤمنين وفيه يلقون معا – الذين يؤمنون والذين لا يؤمنون- جزاء ما فعلوا في الدّنيا.

ولنفرض أنّ 'س' = مكان مطلق = الأرض (الدّنيا)

'ع' = مكان مطلق = الآخرة

' أ ' = الذين يؤمنون (قيمة إيجابية)

'ب' = الذين لا يؤمنون (قيمة سلبية)

' ز'= زمن الماضي، زمن الحاضر، زمن المستقبل

' زَ' = زمن الآخرة

'س' تجمع ' أ ' و'ب' في اللّحظة ' ز'

'ع' تجمع ' أ ' و'ب' في الحياة ما بعد الدّنيا

' أ ' يدرك 'س' بحكم وجوده فيه و'ب' يدرك 'س' بحكم وجوده فيه

' أ ' يدرك 'ع' بحكم العقيدة لكن 'ب' لا يدرك 'ع' بحكم الكفر والإنكار

فالمكان الغيبي إذًا متحقّق وحاضر في أذهان الّذين يؤمنون ويصدّقه القرآن باعتباره موجودا حقّا لكن الذين يعمهون لا يشعرون بوجوده ،فالمكان عندهم يدرك إدراكا حسّيا (15) على حدّ تعبير يوري لوتمان ، وحاسة إدراك المكان الغيبي (الآخرة) هنا،هي الإيمان. وعليه فالذين لا يؤمنون لا يدركون الآخرة كمكان للجزاء (الجنة و النّار) لأن حاسة الإيمان منعدمة.

وإذا كان " المكان لا يتشكّل إلاّ باختراق الأبطال له (...) فيتشكّل من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال " (16) فإنّ المكان المطلق لا يتشكّل إلاّ بقيمة مفردة هي من خلال الّذين يؤمنون أو الذين لا يؤمنون.وهكذا نجد أنّنا في مثل هذا الموقف نجمع بين قيمتين متناقضتين إحداهما موجبة والأخرى سالبة يحتويهما ظرف واحد هو هذه الدّنيا أو هذه الآخرة كمكان مطلق لحدث مطلق؛فإذا طغت على النّاس قيمة ما اتّصف بها المكان، وهي أبدا لا تكون مزدوجة متناقضة ، فالمسجد عنوان لمكان يقصده المسلمون، و المعبد عنوان لمكان يقصده غير المسلمين، و لا يمكن للمسجد أن يكون معبدا بشعائر الآخرين، و إذا حاولنا الجمع بينهما فقلنا مثلا هذا مسجد وكنيسة حصلنا على اللاّمكان المساوي لهذه الأرض أو الدّنيا.

وعليه نستنتج أنّ السورة لم تحتف بالمكان إلاّ إذا كان مفعما بقيمة ما مفردة تجعله يلعب دورا في سير الأحداث، ولهذا تكتسي الأرض فيما بعد طابعا قيميّا توجيهيّا باعتبارها المكان الذي يحوي البشر، وتغدو مخلوقا من شأنه أن

يوقظ الفطرة السليمة في نفوس الّذين لا يدركون غيرها مكانا؛يقول عزّ وجلّ: ﴿ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿61﴾ (النمل) إنّها دعوة إلى تحسّس المكان وسبر أغواره بإعمال الفكر، فكأنّ هؤلاء الذين لا يؤمنون لم يشعروا يوما بقيمة هذا المكان ، فأصبح ملغى لديهم ولم يتجاوز عندهم حدود الصورة المرئية يخلعون عليها من أنفسهم ما يجيش فيها من أحاسيس و مشاعر؛ و ذلك هو دأب شعراء الجاهلية مثلا في وقوفهم على الأطلال ، يقول النابغة الذبياني من بحر البسيط:

يا دار ميّة بالعلياء فالسّند أقوت و طال عليها سالف الأبد

وقفت فيها أصيلانا أسائلها عيّت جوابا و ما بالرّبع من أحد (17)

إنّ الطّلل هنا وهو رسم عاف يضفي الشّاعر عليه من أحاسيسه و مشاعره، فلا ينظر إليه إلاّ من خلال ما يختلجه من أهواء ، فالمكان لا ينطق إلاّ بما يشعر به الشّاعر بينما المكان في القرآن ينطق بوحدانية الله.

و في بيتي امرئ القيس نظرة أخرى : (الطويل)

أجارتنا إنّ المزار قريب وإنّي مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنّا غريبان ها هنا وكلّ غريب للغريب نسيب (18)

إنّ تشبيه امرئ القيس مقامه بمقام عسيب - وهو اسم جبل – وليد التّجربة ، فقد رأى أسلافه الجبال وها هو ذا أيضا يرى فيها الخلود، فنعت مقامه من خلال الكناية بإقامة عسيب لطول عهد إقامته بعد الموت.

فضاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقومه:

إذا كانت السورة مكيّة فمن البديهي أن يكون مكان نزولها مكّة و نلمس ملامحها في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿6﴾ (النمل) باعتبارها منزل الوحي ثمّ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿91﴾ (النمل) و" البلدة بهاء التأنيث اسم لطائفة من الأرض معيّنة ومعروفة محوزة ، فيشمل مكّة وما حولها إلى نهاية حدود الحرم " (19) و لقد اكتست هذه البلدة بفضل فعل التلقي أو الوحيّ طابعا قيميّا ، فهي محجّة المسلمين ﴿ رَبَّنا إِنّي أَسكَنتُ مِن ذُرِّيَّتي بِوادٍ غَيرِ ذي زَرعٍ عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقيمُوا الصَّلاةَ فَاجعَل أَفئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهوي إِلَيهِم وَارزُقهُم مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُم يَشكُرونَ ﴿37﴾ (إبراهيم) ثمّ إنّها قطعة مجتزأة من هذا المكان المطلق الدّنيوي، وخصّت دون غيرها بهذه الطّاقة الرّوحية ، فرفعت عن هذا الكلّ السّفلي (باعتبارها أرضا محرّمة) ، والكلّ السفلي هو هذه الأرض التي أمر الله آدم و زوجه أن ينزلوها بسبب طاعتهما للشيطان، لتصبح بعدها هذا المعترك ، المنتصرون فيه هم أولئك الذين يصلحون في الأرض و لا يفسدون .

فضاء موسى عليه السّلام:

لم تصرح السّورة بفضاء النبيّ موسى عليه السّلام ، لكنها تمدّنا بالقرائن إذ يقول عزّ وجلّ: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿7﴾ (النمل) و قوله: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿12﴾ (النمل) ففي الآيتين ما يشير إلى المكان من خلال مؤشرين، الأوّل لفظ أهله التي تحيلنا إلى قوله تعالى بعد خروج موسى عليه السلام من مصر فارّا من القوم الظالمين ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿26﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ..... ﴾ 22-27(القصص) ، فزواجه عليه السّلام كان قد تمّ بأرض مدين وأما الثاني فلفظ فرعون وهو لقب اتّخذه ملوك مصر القديمة، وعليه فإن موسى عليه السّلام وأهله يكونون في سورة النمل بين مدين ومصر ، ولاستنتاج الفارق بين المكانين نستشهد بالاية التّالية من سورة طه ﴿ فَلَمّا أَتاها نودِيَ يا موسى ﴿11﴾ إِنّي أَنا رَبُّكَ فَاخلَع نَعلَيكَ إِنَّكَ بِالوادِ المُقَدَّسِ طُوًى ﴿12﴾ فالمكان هو الواد المقدّس و قيل إنّه موضع بسيناء (20)، و جاء أنه الطّور لقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّور... ٢٩ ﴾ (القصص) ، وهو أيضا البقعة المباركة ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿30﴾ (القصص) إلاّ أنّ سورة النمل خصّت التبريك بالذّوات بدليل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿8﴾ (النّمل).

فضاء سليمان وصالح ولوط عليهم السّلام:

فضاء سليمان عليه السّلام فضاء خاص مليء بالمعجزات ،لكن اسمه عليه السّلام يحلينا بالضرورة إلى فلسطين ومثله المرأةُ الملكةُ التي يقول التّاريخ أن اسمها بلقيس وهي عَلَمٌ على أرض سبأ، أما صالح عليه السّلام فقد ارتبط ذكره بثمود قومهُ الذين أقاموا بالحجر و وادي القرى فيما بين الحجاز و الشّام (21) وأضاف صاحب التحرير والتنوير أنها كانت بتخوم مملكة سليمان، و كانت في طريق السائر من سبأ إلى فلسطين (22).

و تشير المراجع التاريخية أن فضاء لوط عليه السّلام كان مدينة سدوم اللّعينة، و هي القرية التي أخرجت نبيّها بدعوى التّطهر إذ يقول تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿56﴾ (النمل) فنسبة المكان إليهم لا إلى لوط عليه السّلام ، وإن كانت كلّ الأمكنة المأهولة تحمل حقّا جوهر فكرة البيت (23) فإنّها ليست كذلك للنبيّ لوط عليه السّلام ، ففعل الإخراج معادل لفقدان الأمن وفقدان استقرار الدّعوة ويصبح المكان مناف للطّهارة ولذلك هو ليس أكثر من أن يكون مَعْلما من معالم العقاب ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿137﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿138﴾ (الصافات) ، وعليه فإن استثمار هذا المنهج بما يلائم النّص القرآني ، أفضى إلى النّتائج التالية :

- أمكنة انطلاق الدعوات (المباركة المقدسة): وحدودها مكة وطور سيناء، ويتّسم كلاهما بالحرمة والقداسة.

- أمكنة هي دافع الإيمان : وهي من صنع المخلوق كما هو الأمر في الصّرح الذي دخلته بلقيس ممّا دعاها إلى الايمان والاسلام وفي هذا يقول تعالى: ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ (النّمل).
- أمكنة العقاب (المنبوذة الملعونة): وهي أرض ثمود (الحجر) وأرض قوم لوط (سدوم)، فقد باتت هذه الأماكن رمزا حيّا للعقاب الذي آل إليه الظالمون لأنفسهم و أصبحت أراض منبوذة تحمل قيما سالبة اكتسبتها جرّاء فعل الظالمين وإنكارهم للرّسل.

ويمكن في الأخير أن نلخّص ما جاء من تحليل في مربع غريماس القائم على التعارضات الرباعية :

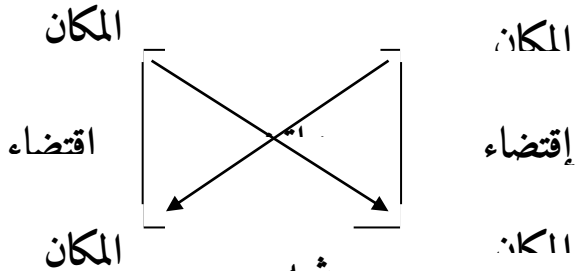

وصفوة القول أن المناهج الحديثة مثال المنهج السيميائي، من شأنها أن تقدّم فائدة في تحليل النّص القرآني ، لكنها في كلّ الأحوال تبقى قاصرة عن كشف الكثير من الأمور الجمالية والدّلالية كما ينبغي لجلال القرآن، ولسنا ندّعي أن استثمار هذه المناهج من شأنها أن تفضي بنا إلى النتائج نفسها، فكلّ محلّل وكلّ ناقد يتناول المنهج بوجهة نظره وبميوله الذاتية أيضا.

إحالات البحث

1- ينظر Emile, Benevéniste : Problème de linguistique générale, tome 1, Cérès éditions, Tunis, 1995, P 265

2- أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن،دار المرتضى التوزيع ، بيروت ، ط1 2006، الجزء 10 ،ص 136

3- نفسه ، ص 137

4- سليمان الضحيان ،المناهج الحديثة في قراءة النّص الشّرعي ..قراءة نصر أبو زيد أنموذجا ، الأحد 01 ربيع الثاني 1432 هـ الموافق 06 مارس 2011 الموقع http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-86-10336.htm

5- مناهج تحليل الخطاب القرآني في الفكر العربي المعاصر دراسة نقدية لنماذج ، محمد علواش، http://diae.net/19944

6- حلومة التجاني، البنية السردية في قصة النبيّ إبراهيم عليه السّلام – دراسة تحليلية سميائية في الخطاب القرآني ، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع ، عمان – الأردن ،ط 1، 2014، ص 13

7- ينظر عبد الله إبراهيم و آخرون، معرفة الآخر: مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة ،المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 2، 1996 ، ص 73

8- سعيد بنكراد، السيميائيات النشأة و الموضوع ، مجلة عالم الفكر (السيميائيات)، العدد 03، يناير 2007 ،ص 16

9- سيميولوجيا التّواصل و سيميولوجيا الدلالة ، جميل حمداوي ، فيفري 2007

http://www.diwanalarab.com/spip.php?article7796

10- نفسه

11- file:///C:/Users/DREAM/Downloads/612-2162-1-PB.pdf السردية و مستويات التحليل السيميائي للنصوص (سيمياء السرد الغريماسية نموذجا ، عقاق قادة

12- محمد الطاهر بن عاشور، تفسيرالتحرير والتنوير ، دار سحنون للنشر والتوزيع ،تونس ،1997، المجلد 9 ، الجزء 19 ، ص 215

13- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم – بيروت، ط 4، 1402 هـ ،المجلد 2، ص 400

14- سليمان عشراتي ، الخطاب القرآني (مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي)، ديوان المطبوعات الجامعية 1988، ص 149

15- يوري لوتمان ، مشكلة المكان الفني ، تر سيزا القاسم دراز ، ضمن كتاب جماليات المكان ، عيون المقالات ، الدّار البيضاء – المغرب، ط2، د ت ، ص 59

16- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – الدار البيضاء ،ط 1، 1990، ص 29

17- النابغة الذبياني، ديوان النّابغة الذبياني ، تحق محمد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، تونس- الجزائر، 1976، ص 76

18- امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس ، تحق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف –مصر، ط 2، 1964، ص 357

19- المصدر السابق محمد الطاهر بن عاشور، تفسيرالتحرير والتنوير، المجلد 10 الجزء 20 ، ص 56

20- ينظر أحمد عبد الحميد يوسف، مصر في القرآن و السّنة ، دار المعارف ، ط3،ص 91

21- ينظر عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، دط، 1981 ، المجلد 2، القسم 1، ص 41

22- السابق محمد الطاهر بن عاشور، تفسيرالتحرير والتنوير ، المجلد 9، الجزء 19، ص 277

23- غاستون باشلار ، جماليات المكان ، تر غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات و النّشر و التوزيع، بيروت ، ط3، 1987، ص 36

قائمة المصادر والمراجع

1- إبراهيم عبد الله وآخرون، معرفة الآخر: مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة ،المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1996

2- ابن خلدون عبد الرحمان ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، دط، 1981

3- امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس ، تحق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف –مصر ، ط 2، 1964

4- باشلار غاستون، جماليات المكان، تر غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنّشر و التوزيع، بيروت ، ط3، 1987

5- بحراوي حسن ، بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – الدار البيضاء ،ط 1، 1990

6- بن عاشور محمد الطاهر ، تفسيرالتحرير والتنوير ، دار سحنون للنشر والتوزيع ،تونس ،1997، المجلد 9 ، الجزء 19

7- بنكراد سعيد ، السيميائيات النشأة و الموضوع ، مجلة عالم الفكر (السيميائيات)، العدد 03، يناير 2007

8- التجاني حلومة ، البنية السردية في قصة النبيّ إبراهيم عليه السّلام – دراسة تحليلية سميائية في الخطاب القرآني ، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع ، عمان – الأردن ،ط 1، 2014

9- حمداوي جميل ، سيميولوجيا التّواصل و سيميولوجيا الدلالة ، فيفري 2007

10- http://www.diwanalarab.com/spip.php?article7796

11- الذبياني النابغة ، ديوان النّابغة الذبياني ، تحق محمد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، تونس- الجزائر، 1976

12- الصابوني محمد علي ، صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم – بيروت، ط 4، 1402 هـ

13- الضحيان سليمان ،المناهج الحديثة في قراءة النّص الشّرعي ..قراءة نصر أبو زيد أنموذجا ، الأحد 01 ربيع الثاني 1432 هـ الموافق 06 مارس 2011 الموقع http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-86-10336.htm

14- الطبرسي أبو علي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن،دار المرتضى التوزيع ، بيروت ، ط1 2006

15- عشراتي سليمان ، الخطاب القرآني (مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي)، ديوان المطبوعات الجامعية 1988

16- عقاق قادة، السردية و مستويات التحليل السيميائي للنصوص (سيمياء السرد الغريماسية نموذجا

17- file:///C:/Users/DREAM/Downloads/612-2162-1-PB.pdf

18- علواش محمد، مناهج تحليل الخطاب القرآني في الفكر العربي المعاصر دراسة نقدية لنماذج، http://diae.net/19944

19- لوتمان يوري ، مشكلة المكان الفني ، تر سيزا القاسم دراز ، ضمن كتاب جماليات المكان ، عيون المقالات ، الدّار البيضاء – المغرب، ط2، د ت

20- يوسف أحمد عبد الحميد، مصر في القرآن و السّنة ، دار المعارف ، ط3 ،دت

المراجع باللّغة الأجنبية:

21- Emile, Benevéniste : Problème de linguistique générale, tome 1, Cérès éditions, Tunis, 1995